

تفسير البغوي

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ^ط كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ^ط قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن) أي تقبل الله مريم من حنة مكان المحرر ، وتقبل بمعنى قبل ورضي ، والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوع والوزوع ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل : معنى التقبل التكفل في التربة والقيام بشأنها (وأنبتها نباتا حسنا) معناه : وأنبتها فنبت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر على غير [اللفظ] وكذلك قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن) [ومثله شائع كقولك تكلمت كلاما وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فتقبلها ربها بقبول حسن)] أي سلك بها طريق السعداء (وأنبتها نباتا حسنا) يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قال أهل الأخبار : أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأخبار ، أبناء هارون وهم

يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ،
فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا : أنا أحقكم
بها ، عندي خالتها ، فقالت له الأحبار : لا نفعل ذلك ، فإنها لو تركت لأحق الناس لها
لتركت لأُمها التي ولدتها لكننا نقترح عليها فتكون عند من خرج سهمه ، فانطلقوا وكانوا [
تسعة وعشرين] رجلا إلى نهر جار ، قال السدي : هو نهر الأردن فألقوا أقلامهم في الماء
على أن من ثبت قلمه في الماء فصعد فهو أولى بها وقيل : كان على كل قلم اسم واحد
منهم وقيل : كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء [فارتز] قلم
زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر ، قاله محمد بن إسحاق
وجماعة وقيل : جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء . وقال
السدي وجماعة : بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين ، وجرت أقلامهم مع
جربة الماء فذهب بها الماء فسهمهم وقرعهم زكريا ، وكان زكريا رأس الأحبار ونبههم
فذلك قوله تعالى (وكفلها زكريا) قرأ حمزة والكسائي وعاصم بتشديد الفاء فيكون
زكريا في محل نصب أي ضمنها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة ، وقرأ الآخرون

بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها ، وهو
زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلاموقراً حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم : زكريا مقصورا والآخرين يمدونهفلما ضم زكريا مريم إلى
نفسه بنى لها ، بيتا واسترضع لها وقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى
إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد ، وجعل بابه في وسطها لا يرتقى
إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره ، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها
كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب) وأراد بالمحراب الغرفة ، والمحراب أشرف
المجالس ومقدمها ، وكذلك هو من المسجد ، ويقال للمسجد أيضا محراب قال المبرد :
لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرجة ، وقال الربيع بن أنس : كان زكريا إذا خرج
يغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها غرفتها (وجد عندها رزقا) أي فاكهة في غير
حينها ، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (قال يا مريم أنى لك هذا)
قال أبو عبيدة : معناه من أين لك هذا؟ وأنكر بعضهم عليه ، وقال : معناه من أي جهة لك
هذا؟ لأن " أنى " للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان (قالت هو من عند الله) أي

من قطف الجنة ، قال الحسن : حين ولدت مريم لم تلقم ثديا قط ، كان يأتيها رزقها من الجنة ، فيقول لها زكريا : أنى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال محمد بن إسحاق : ثم أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل : تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأياكم يكفلها بعدي؟ قالوا : والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى ، فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا ، فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل نجار من بني إسرائيل يقال له : يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها ، فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له : يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا ، فجعل يوسف يرزق بمكانها منه ، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله ، فدخل عليها زكريا فبرى عندها فضلا من الرزق ، ليس بقدر ما يأتيها به يوسف ، فيقول : يا مريم أنى لك هذا قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب . قال أهل الأخبار فلما رأى ذلك زكريا قال : إن الذي قدر على أن

يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا

في غير حينه من الكبر فطمع في الولد ، وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان

زكريا قد شاخ وأيس من الولد